

الزجاج صار كالمهمل. ووفى بعضهم بالقياس وجعل أصل الدائرة من المضارع كباقي الدوائر»^(١)، وقد كان المصنف — رحمه الله — من هؤلاء الذين وفوا بالقياس وجعلوا أصل الدائرة من المضارع فكان ترتيب أبحرها : المضارع فالمقتضب فالمجتث فالسريع فالمنسرح فالخفيف، ولم يأبه لتلك العلة التي اقتنع بها المخالفون ؛ لأن الأبحر تنفك من الدائرة في صورتها المثلى بصرف النظر عن الصورة التي تظهر بها في الواقع الشعري، وإلا فما جدوى القول بالمديد المثنى والهزج المسدس والمضارع والمقتضب والمجتث في صورها البعيدة عن المأثور في تراث الشعراء.

بيد أنه لم يظل محتفظاً بهذا الترتيب، فقد جذبه ترتيب القدماء إليه وهو يتحدث في باب المعاقبة والمراقبة والمكانفة وباب التصريح والتفوية، فتناول البحور في هذين البابين بترتيب القدماء. ويبدو أن تأثير التراث العروضي على عقله الباطن كان قوياً فظهر في مثل هذا الترتيب الذي ابتدع هو غيره.

خامساً : في التصريح والتفوية :

جلّ كتب العروض تتعرض لهذين المصطلحين بإيضاح مفهومهما وإيراد شاهد أو اثنين لكل منهما. لكن المصنف بعد أن عرف كلاً، وشرح المراد من التعريف بشاهد من الشواهد، حدّد الأضرب التي يمكن فيها التصريح وتلك التي يمكن فيها التفوية تحديداً اتّسم بالمثالية الصارمة وإن لم يبتعد عن تحريّ الدقة فيما ذهب إليه، وذلك في الباب الأخير. وكان ينقصه في هذا الباب التمثيل لكل ضرب مما عدّد. وقد حاولنا سدّ هذه الثغرة بإيراد مثال لكل صورة.

(١) نهاية الراغب ٢/٨٦، وانظر الكافي / ١٢٨ والبارع / ٢٠٠.